

الفضاءات الثقافية المحلية

local cultural spaces

د. بن قدور حورية

(houria.benkadour@univ-biskra.dz) الجزائر / جامعة بسكرة

تاريخ الاستلام : 2020/08/06 ؛ تاريخ القبول : 2020/10/15 ؛ تاريخ النشر : 2020/11/20

Abstract

الملخص

The word cultural spaces is often used to refer to the so-called urban spaces, such as theaters, cinemas, opera houses, culture houses, and even youth, sports and other such spaces that are classified as modern and contemporary achievements that cities have known. The cultural space in its true meaning is more comprehensive than all of this, as it is every space in which mediation and cultural communication are achieved, that is, it is a space that serves the exchange of life, literary and aesthetic experiences and even popular culture as the circulation of popular expressions (such as poetry, prose, stories, novels, stories, jokes). and puzzles) that contribute to the process of social and cultural upbringing of individuals and groups. In this paper, we try to focus on the local cultural spaces (rural space, religious space, popular space, through which actors and groups of actors are identified based on their positions in these cultural spaces.

Keywords: cultural spaces, locality, heritage, society, upbringing, cultural communication, belonging.

إن كلمة الفضاءات الثقافية غالبا ما تطلق على ما يسمى بالفضاءات الحضرية من مساح ودور سينما ودور الأوبرا ودور الثقافة وحتى دور الشباب والرياضة وغيرها من تلك الفضاءات المصنفة كإنجازات حديثة ومعاصرة عرفتها المدن.

إن الفضاء الثقافي في معناه الحقيقي هو أشمل من كل هذا، فهو كل فضاء تتحقق فيه وساطة وتواصل ثقافي، أي أنه فضاء يخدم تبادل التجارب الحياتية والأدبية والجمالية وحتى الثقافة الشعبية كداول أشكال التعبير الشعبي (من شعر، نثر، قصص، روايات، حكايا، نكت وألغاز) والتي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية لدى الأفراد والجماعات.

في ورقتنا هذه نحاول التركيز على الفضاءات الثقافية المحلية (الفضاء القروي، الفضاء الديني، الفضاء الشعبي) التي يتم من خلالها التعرف على الفاعلين ومجموعات الفاعلين انطلاقا من وضعياتهم في هذه الفضاءات الثقافية.

كلمات مفتاحية: الفضاءات الثقافية، المحلي، التراث، المجتمع، التنشئة، تواصل ثقافي، الانتماء.

1. مقدمة:

ميز بيير بورديو BOURDIEU Pierre في سطور كتابه التمييز Distinction بين الرؤية العادية والعمومية، التي ترى أن الأذواق هي هبة من الطبيعة ولا دخل للإنسان فيها، وبين الملاحظة العلمية التي تبين أن الأذواق يحددها وينظمها موقع الناس داخل المجتمع، أي أنها في نظره تخضع للتأثير الطبقي والثقافي والأدبي وغيرها من المؤثرات المتواجدة داخل مجتمعه.

هذا الكلام إن دل على شيء فإنه يدل على أهمية ما يسميه بورديو بالحقل le champ أو الفضاء، فموقع كل فرد من فضاءه تحدده مجموعة من الممارسات الثقافية، كما أنه يعكس القيم والأذواق انطلاقاً من خصوصية ذلك الحقل أو الفضاء، ويدل أيضاً على أن الحقل هو الملهم للذوق ولا مجال للقول بأن الأذواق هي ملكات أو مواهب.

تعددت تعاريف وطرق شرح وتحليل الفضاء العمومي ولكن الفضاء العمومي بشكل عام، هو تلك المساحات التي يقوم فيها الأعضاء والأفراد بتناول ما يفضلونه أو ما يشغلهم، من أجل الوصول إلى توافقات حول قضايا مهمة أو متطلبات العيش، "لكن هناك ثلاثة مظاهر هي من تميز الفضاء العمومي، أولها أن المشاركة فيه مفتوحة، وثانيها أنه يساوي بين مواقع وأدوار وأطراف المشاركة فيه بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وثالثها أن أية قضية فيه تكون قابلة للنقاش"

ورغم أن الفضاء العمومي هو أيضاً "منطقة داخل الحياة الاجتماعية حيث يتجمع الناس معا ويناقشون بحرية المشكلات المجتمعية بعد أن يحددها، ومن خلال مناقشتهم يؤثرون على الفعل السياسي، وهو فضاء خطابي، يجتمع فيه الأفراد والجماعات ليناقشوا الأمور ذات الأهمية بالنسبة لهم، للوصول إذا كان ممكناً إلى حكم عام يرضي الجميع أو الأغلبية".

ولكن "إذا كان -في نظر الكثير منا- الفضاء الثقافي يتداخل مع الفضاء العام أحياناً، فهو يختلف عنه في الوظيفة العامة التي يؤديها، أي أن ما يحدث في الفضاء هو الذي

يحدد طبيعته، فالتمثيل *représentation* أو ما يسمى الأداء *performance* هو الذي يحول الفضاء إلى منبر ثقافي"، وبالتالي يحدث هذا: "إن التمثيل بمجرد أن يتم في فضاء، فإنه يحوله من فضاء عمومي إلى فضاء ثقافي، تماما مثل المداولات المؤسساتية التي تحول الفضاء إلى فضاء سياسي، أو مثل الشعائر التي تحوله إلى فضاء ديني"، وبالتالي ميزة الفضاء العمومي هو كونه فضاء للجميع، وهو أيضا والأهم هو فضاء أو محطة عبور، أما ميزة الفضاء الثقافي فهو يمتاز بكونه فضاء انتماء وخصوصية فردية وجماعية تنعكس من خلال الموقع والتواجد والممارسات داخل ذلك الفضاء.

1- الفضاء العمومي والفضاء الثقافي:

تعرف نانسي فرازر الفضاء العمومي بأنه: "فضاء المجتمعات الحديثة، حيث تمر المشاركة السياسية عبر اللغة، إنه فضاء المواطنين الذين يناضلون من أجل مصالحهم المشتركة، فضاء يؤسس تفاعلاته أوليا"، فيما يعتبر يورغن هابرماس الفضاء العمومي على أنه: "مجموعة من الأشخاص الخواص يجتمعون من أجل النقاش حول مواضيع تكتسي المصلحة العامة أو المصلحة المشتركة".

إن تفكير يورغن هابرماس (J, Habermas) في الفضاء العمومي يعتبر توثيقا لمشروع انجاح ومد جسور التواصل في عدة مجالات، وعلى رأسها المجال السياسي، من حيث أنه "حاول التفكير في أشكال الممارسة الانسانية وأهدافها وأشكال الاندماج الاجتماعي في الحياة العمومية والتفكير في الديمقراطية والوسائط التي تربط بين الأفراد داخل الفضاء العمومي. ورغم أن هابرماس جعل من مصطلح الفضاء العمومي مدخلا جوهريا إلى النظرية السياسية باعتباره يبرز الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، بحيث عمل على استطلاع الرأي العام.

عمل هابرماس أيضا على صياغة مفهوم الفضاء العمومي في مؤلفه الأول سنة 1962، وفي "أولى اهتماماته المبكرة بالفلسفة السياسية، في إطار تاريخي ظرفي زمني متعلق

بالمناخ السياسي لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، لهذا فإن اسهامات هابرماس برؤيته النقدية واسهاماته الأكاديمية حول قضايا الفضاء العام والديمقراطية والشرعية والسيادة، وحقوق الانسان، دليل على وعيه المبكر بالسياسة، كما أن مبادراته الراهنة حول عودة الديني ومحاولة عقلنة الدين والحديث عنه في إطار دولة الديمقراطية، نوع من التفكير في المسألة العلمانية الغربية من داخل تجربتها الحضارية، ومن زوايا نظر متعددة يؤدي لا محالة إلى فتح أفق جديد في فهم العلاقة الأحادية بين العلمانية والدين، إذ يعد تجاوزا لحالات الجمود، وإعادة الحوار حول موقع الدين في المجال العام".

في حين انه يمكن الاستعانة بتعريف الفضاء الثقافي من برنارد لاميتاز (LAMITEZ. b) بحيث يقول: "يمكن تعريف الفضاء الثقافي على انه الفضاء الذي تتم فيه البنية الرمزية لأشكال الانتماء، إن الفضاء الثقافي هو نوع من التخصيص للفضاء العمومي ... إنه تسجيل ضمن البعد اللغوي والرمزي".

وبالتالي مفهوم ثقافة الفضاء يحيلنا إلى الثقافة في بعدها التربوي، الجمالي، التخلقي الابداعي، ويحيلنا أيضا إلى ابعاد من ذلك: إلى عالم الأفكار والحضارة والتاريخ، أي أنه يجعل من الفضاء مفهوما -عمرانيا- يمس الجانب المادي للمدينة، والجانب الروحي لساكني تلك المدينة.

ولذلك الفضاء الثقافي ذوق راق يجعل كل منا يسهم من خلال حقله في خلق (انتاج وإعادة الانتاج) الفضاءات الثقافية، "كما لا يمكن اعتبار فضاء ما، فضاءا ثقافيا إلا إذا كانت إمكانية التكرار وإعادة الانتاج فيه ممكنة"، فطبيعة الفضاء الثقافي هي طبيعة حركية، لا تخلو أبدا من عملية الخلق والابداع والرغبة الدائمة في التجدد.

لقد عمل العديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمختصين في مجال التواصل وغيرهم من ذوي العلاقة العلمية أو العملية بالفضاء، على تحليل وتوصيف البنى والبنى الاجتماعية والثقافية التي سنحت بظهور الفضاء العمومي، وكذا تلك الأنشطة والأدوار الوظيفية التي أداها

وطريقة اشتغاله وحتى تحولاته السوسيو ثقافية والسياسية، باعتباره نتيجة لا تنفصل عن السيرورة الثقافية والاجتماعية للمجتمعات التي انتجته.

2- الفضاءات الثقافية المحلية:

فيما يخص كيفية تمييز الفضاءات الثقافية المحلية، فهي الفضاءات ذات خصوصية مجتمعية بيئية محددة (بفعل الانتماء الثقافي والجغرافي).

فمثلا: مجلس القرية (مجلس الكبار أو ذوو السلطة أو العلم والنفوذ في قرية ما)، هذا الفضاء يتسم بطبيعة أنه فضاء عمومي يجتمع فيه مجموعة من الأفراد يكثر أو يقل عددهم، وذلك حسب حالات وأماكن وأزمنة هذه الجماعة، ويبقى كذلك (ذو طبيعة الفضاء العمومي)، إلا إذا اقتحمه مثلا حكواتي أو نكات أو قوال أو شاعر أو مغني أو مدرس... حينئذ يتحول هذا الفضاء مباشرة من كونه فضاء عمومي إلى كونه فضاء ثقافي (يجمعه الأدب والفنون الشعبية أو الجمالية)، وبالتالي يعكس لنا هذا الفضاء تبادلا ثقافيا ينشئ جسور التواصل والوساطة.

ومثله: السوق، فهو كما نعرفه فضاء عمومي لتبادل السلع (بيع واقتناء حاجيات من أكل وشري ولبس وغيرها من الأمور والمواد الحياتية اليومية)، لكن بمجرد حدوث التواصل بين رواده يصبح فضاءا ثقافيا (يجمع ويظهر التجارب الحياتية) لتبادل لغوي ولهجي ذو رموز ودلالات خاصة، تعكس ثقافة تراكمت عبر أزمان في وجدان الجماعة ووعيها الجمعي.

"وعليه فإن أي محاولة لفهم اشتغال هذه الفضاءات يجب أن ينظر إليها على أنها فضاءات أولية للروح الجماعية أو الجمعية (sociabilité). هذه الأماكن المؤسسة للثقافة مثل الساحة العامة، المسرح العام، أماكن العبادة وغيرها، تتجلى فيها الرابطة الاجتماعية في كل عمقها، ويتم عرضها في كل دلالاتها وكثافتها".

تلعب المدن والقرى دورا هاما في عكس الثقافة المحلية، بحيث تمثل مساحة تحتضن النقاش والتبادل الثقافي والمعرفي بين الذوات. ومنه يمكن القول ان ثقافة المدينة تختلف عن

ثقافة القرية، والذهنية المدينية تختلف عن الذهنية القروية، وهذا الاختلاف هو راجع إلى عملية تقسيم العمل وكثرة المؤسسات والمنشآت العلمية والعملية، حيث المدينة عالم التجارة، السياسة، المهنة، الشهرة، الآلة والتقنية، المعرفة وحتى الشعور بحظ أوفر من الفردية لدى أفراد المدينة، باختصار إنها المركز. أما القرية فعالمها بسيط يكمن في عالم الزراعة والحرف والأدوات البسيطة والعلاقات الجماعية العضوية والرابطة العشائرية التي تحد من الاستقلالية والفردانية لدى الأفراد.

إن المدينة هي رحم الثقافة (المادية والروحية) الابداعية المتجددة بفضل انفتاحها وتشاركها مع الآخر (تأثر وتأثير من خلال أماكن وفضاءات التعارف الكثيرة)، فيما القرية تنطلق من تلك الممارسات ذات الطابع الثقافي الخاص (محكومة بالخصوصية الثقافية المحلية) الذي تشكله الديانة والاعراف والتقاليد. ومن هنا تعتبر القرية فضاءا محليا بامتياز، فالقرية تعكس تلك الخبرات الثقافية المحلية ضمن شريط أو ذاكرة حفظت العديد من الأعمال والممارسات الثقافية الخاصة بها.

3- خاتمة

لقد شكلت الفضاءات الثقافية أداة للتواصل في مختلف المجالات: الثقافية، السياسية، الاجتماعية، الدينية وغيرها من المجالات الأخرى، وهذا ما عهدته المجتمعات من خلال قنوات تواصلها على المستوى المحلي.

إن الفضاء الثقافي هو وبدون شك فضاء للتواصل، التواصل بوصفه حاجة اجتماعية وسيكولوجية يطلبها الأفراد بوعي وبلا وعي في تأكيد هويتهم التي تبني في حقل معين وضمن أطر محددة، وتفرضها عليه التنشئة الاجتماعية (خصوصية المجتمع المحلي)، هذا كله يحدد الهوية بكل تجلياتها الثقافية الدينية اللغوية الأخلاقية.

هكذا وللوهلة الأولى يبدو لنا الفضاء مجرد معبر، ولكنه يعكس مواقع هامة يتخندق فيها الفاعلون الثقافيون، ساعين إلى الانتاج وإعادة انتاج كل الأشكال الثقافية والجمالية والفنية وحتى

الأدبية، وأنماط المعيشة والتسيير، للحفاظ على وجودهم وكيوناتهم الاجتماعية وخصوصيتهم الثقافية المحلية.

وإذا كان الفضاء العمومي هو تلك المساحة المشيدة بكيفية ذاتية تحكمها سيرورات لغوية وخطابية من قبل فاعلين اجتماعيين، فإن الفضاء الثقافي المحلي هو أيضا فضاء الأفعال الكلامية والخطابية لكن ذات الثقافة المحلية، والتي ينتج من خلالها آراء ومواقف تسهم في مناقشة الشؤون المحلية وفقا للتراضي والتوافق المجتمعي.

4- المراجع

- 1- BOURDIEU, la distinction- critique sociale du jugement, Ed minuit, France , 1979.
- 2- LAMITEZ Bernard, la médiation culturelle, l'harmattan, paris, 1999, 1 Ed.
- 3- بن عمرة بلقاسم أمين، دور الوسائط الاتصالية في تشكيل الفضاءات العمومية الهامشية النسائية داخل الحيز الافتراضي، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018/2017.
- 4- التواصل الثقافي ودوره في تجديد الفكر العربي، مجلة الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، إشراف وتقديم رشيد دحدوح، السداسي الأول، 2016.
- 5- حميد بوحبيب، مدخل إلى الأدب الشعبي- مقارنة أنثروبولوجية، دار الحكمة، الجزائر، 2009.
- 6- عبد المقصود هشام، خصائص المجال العام لتقديم التعبيرات السياسية والاجتماعية عن قضايا وأحداث الشؤون العامة في وسائل الإعلام الجديد، مؤتمر الاسرة والإعلام وتحديات العصر، الجزء 2، جامعة القاهرة، فيفري 2009.
- 7- الفضاء العمومي، أركيولوجيا الدعاية باعتبارها مكونا أساسيا للمجتمع البورجوازي، 1962.
- 8- هناء علالي، مصطفى كحل، الفضاء العمومي ودوره في تفعيل الفكر التواصلية عند هابرماس، مجلة التواصل في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 50، جوان 2017.